مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن مطالعة فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تحيي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنهى عن الدنايا والمحارم من أولى ما يهتم به الأديب الأريب.

ولا شيء أنظم لشمل ذلك كله ـ كما يقول ابن عبد البر[1] ـ وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأثقف لنادره؛ من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والفصول الشريفة، والأخبار الظريفة، من حكم الحكماء، وكلام البلغاء العقلاء: من أئمة السلف، وصالحي الخلف، الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم، آداب التنزيل، ومعاني سنن الرسول، ونوادر العرب وأمثالها، وأجوبتها ومقاطعها، ومباديها وفصولها، وما حووه من حكم العجم، وسائر الأمم، ففي تقييد أخبارهم، وحفظ مذاهبهم، ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها، واتباع آثارهم واقتفائها.

ويأتي هذا الكتاب النادر الذي أقدمه لقارئنا الكريم ـ جامعا لما سلف من فنون الآداب التي كانت تدار في المجالس العلمية والترفيهية التي أخذت محلا كبيرا في تراثنا الأدبي؛ حيث اجتماع الندماء والأصدقاء والأصفياء ومع يتبع ذلك من آداب وأخلاقيات لهذه المجالس.

---

(١) في مقدمته لبهجة المجالس.

ترجمة المصنف

هو: محمد سعد بن محمد سعد الشهير بالمصري[١].

قال في حلية البشر[٢]: إمام علي القدر والمقام، همام قد انقاد له هام النثر والنظام، لآلئ أفنان آدابه فرائد، وحدائق فنونه مفتحة الأزهار لكل قاصد وارد، ألفاظه بزلال الجمال ممزوجة، ومعانيه الباهرة في قراطيس الأفئدة مدروجة.

فمن لطائف هذا البليغ الماهر، المزري دره الثمين بالجوهر الباهر، ما كتبه على طرة كتابه المسمى بتحفة أهل الفكاهة في المنادمة والنزاهة:

إذا ما شئت أن تحيا سعيدا ... وتظفر باللطافة والنزاهه
فطالع سفرنا السامي المسمى ... بتحفة من هموا أهل الفكاهه

وكان فراغه من تأليف هذا الكتاب في شهر رجب الحرام سنة ألف ومائتين وخمس وتسعين. ومن قوله:

نادمتني ضحى وكان عليها ... حلة تشبه السماء صفاء
فتوهمت أن مجلس أنسي ... زاد فيه لنا السماء ضياء

وقال أيضًا:

منجم الحسن لما أن رأى قمري ... واستكسف القد منه قاس بالملك
وقال دائرة الخصر النحيل به ... موهومة ولذا قامت على الفلك

وقال أيضًا:

ألا إن أنسي وابتهاج أحبتي ... هما مطلبي الأعلا وغاية بغيتي

---

(١) ترجمته في حلية البشر ٢/ ٨، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢١.
(٢) ٢/ ٨.

وظني لأنسي حيث بان منغص فلا كان من أخشاه عند مسرتي

وكتب إلى بعض الأحباب، وكان ذلك جوابًا لهم على مراسلتهم:

كتبت أشكوك بينا مستصعبا من ملالك
وليتني كنت رقما حتى أمر ببالك

أما بعد:

فقد ورد كتابك الكريم المشحون باللطائف، ويا حبذا ذاك الرقيم، فقمت له إجلالًا على قدم الفرح، وزال إذ ذاك ما كان عندي من الترح، وها أنا أرسلت جوابه في غاية الإجادة لأشكر مآثر السيادة، وألتمس رسالة هي نصف المشاهدة وزيادة، أراني الله ضياء محياك الباهر وأنشقني عرفك العاطر، بمنه وكرمه آمين. ومن قوله في اسم إسماعيل تطريزًا:

الخد فيه الورد والنسرين والثغر منه اللؤلؤ المكنون
سمحت بك الدنيا وضن بك الوفا فانا الحزين الساهر المفتون
ما بالني أخلصت فيك مودتي وتقول لي لا خنتني وتخون
إن كنت قد أخطأت سبل بني الهوى في أي مؤتمر عليك تبين
عنفتني فازددت فيك تولها وأذعت أسراري وكنت أصون
يحلو فمي أني ذكرتك مرة ويشوقني لحديثك التلحين
لم يحكني قيس غرامًا والذي أنا مرتجيه على هواك يقين
أنت الذي يا ظبي قد علمتني بين الأنام الشعر كيف يكون
من لي بان ترضي الرقاد لناظري وإلام أنت به علي ضنين
يا حسنه الراقي الكمال محله في الخلق ولدان وحور عين
نادي وقل هذا الذي قد صانني ما كل إسماعيل عز أمين

وله في اسم أحمد لطيف:

أيها الظبي المفدى منعش القلب الحزين
حسبذا فيك التصابي يا ابن أنس العاشقين
ما لكي قد كان مني سفه فيك يقين
داره منك بعفو واصفح الصفح المبين
لا تكن مر التجافي متن أشواقي متين
طالما أنفقت شعرا فيك حينًا بعد حين
يا ترى أحظى بوصل منك أو أبقى رهين
فتدارك نار شوقي يا لطيف العالمين

ومن لطائفه قوله في عواد وعوده :

وعود في يدي رشأ كسته وضاءة وجهه نورًا بهيا
إذا ما خلته يحنو عليه تقول البدر يختطف الثريا

* * *

النسخة المعتمدة في التحقيق :

الكتاب طبع سنة ١٣٠٧هـ مطبعة شرف ، وطبع مرة أخرى سنة ١٣٢٦هـ طبعة ثانية بالمطبعة العامرة بالشرفية التي مركزها بشارع الخرنفش من مصر المحمية .

وقد اعتمدت على هذه النسخة الأخيرة في إخراج هذا الكتاب ، وعلى هامش هذه النسخة كتاب أطباق الذهب للعلامة عبد المؤمن المغربي الأصفهاني .

النص المحقق

[تقاريظ الكتاب]

لما ظهرت شمس هذا الكتاب في أفق الكمال، وأحاطت بدور تمه بهالة هلاله على هذا المنوال، وانتظم في عالم الشهود عقود لآليه، وازينت رياض المحاسن بأنوار مبانيه، وامتلأت حياض الآداب بمياه معانيه، وانقادت لناسج أكاليل وشيه أعنة أمانيه، قرظه عصابة فضل، جرت بمياه الفصاحة جداول آدابهم، وأينعت بأزهار البلاغة حدائق ألبابهم.

فمن ذلك: ما أنشأة الأديب الذي أقبلت على شعره الفصاحة بوجه جميل، وقصر عن إدراك لطف طبعه النسيم، وهو عليل المصقع الذي أنتجه برهان الدهر لمفاخرة الشعراء الأوائل البليغ الذي عمرت به رباع الآداب وتزينت به صدور المحافل ذو المقام السامي والقدر المعتلي الأستاذ الشيخ أبو علي، فقال ـ مشيرا إلى بعض ما للكتاب من محاسن، مؤرخا عام طبعته الأولى بنظم يفوق عقود الجمان المنسوقة في سموط الأحاسن ـ:

ساقي الراح نور وجهك مقمر ... أنت كالبدر أم عن البدر تسفر
ما رأينا البدر تجلى شموسا ... وكذا لم نر الكواكب تسكر
هات هات اسقني فما أنت إلا ... من حسان النعيم جل المصور
وترنم بحسن وصف الحميا ... وأعد ذكره علي وكرر
إن أحلى الغناء ما كان فيه ... طيب نفس امرئ من الأنس مكثر
صاح واهتف بذكر تحفة سعد ... فهي عن هذه اللطائف تخبر
وهي روض بفكر كل أديب ... غصنه الرطب بالفصاحة مثمر
قد جرى منهل الفكاهة فيه ... ماؤه العذب للنهى متحدر
فبأي أقيس في الفضل سعدا ... بسنى الفجر إن أقيس أقصر
هكذا هكذا حليف المعالي ... بلفظ الدر صدره المتبحر

شرف دونه الثريا مكانا ومنال لغيره متعسر
ومذ اشتاقت العيون تراها وأتى الطبع بالكمال يبشر
قال لي طرزها المجمل أرخ يا لها تحفة بها الطبع مزهر
سنة ١٣٠٧

* * *

ومنها : ما بعث به إلينا حضرة الأستاذ الفاضل، والحبر الكامل، الهمام الأوحد، والملاذ الأمجد العلامة الشيخ محمد بسره أحد علماء الشافعية بالأزهر الأنور، وهو هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد رفيع الجلال، أصل لبقاء النعم وشكر ذي الأفضال يولي مراتب الإقبال، ويهمي سجال الكرم، وصلات صلاة وسلام على سيد العرب والعجم الحبيب المجتبى، والسيد المرتضى هادي الأمم، وعلى آله الذين تحاشوا عن الأغراض الدنية، وأصحابه الذين أخلصوا في محبته، فنالوا بذلك الرتب العلية، صلاة وسلاما لا يقدر لهما قدر، ولا يبيد لهما ذكر، ولا يخلو عنهما من شريف الشئون أمر.

أما بعد :

فإني تصفحت هذا الكتاب، واستوعبت دره المستطاب، فرأيته قد أعرب عن الفكاهات الرائقة، وأطرف بالتحائف الشائقة، وتكفل بإيراد النزاهات السنية، والمحاسن البهية، وكان حريا بأن يسمى بـ : تحفة أهل الفكاهة. ليطابق اسمه مسماه، إذ هو غرة في جبهة محيا النزاهة، قد سما شأنه في الأسفار، وعز بمزاياه في المقدار، أعرب فيه مؤلفه عن كل نفيسة فائقة، وأتي بما يغني عن رنات المثاني والمثالث الرائقة.

ولقد أجاد مؤلفه في تصنيفه، وأحرز قصبات السبق في مضمار الآداب بجمعه وتأليفه، وحلي بنظم فرائد تفانينه جياد الدفاتر، وروى فنون الأدب عن ذويه الأكابر، وقنص كل شاردة، وجمع كل غريبة آبدة، فلا غرو إنه الفاضل الأمجد والكامل الأوحد رب المعارف، ومحتد اللطائف، ذو الفطنة الوقادة، والفكرة النقادة، المحفوظ بعناية ربه التي لا تحد محمد أفندي سعد، فلقد غاص في بحار الأدب، فاستخرج لآلئ الغرائب من معدنها، واستوعب فنون العلوم فاستنبط من بحارها فرائد الآداب من مكمنها، وجمع في سفره هذا كل غريبة من الأدب، واستوثق بعرى الظرائف مما لم يطمع في الوصول إليه غيره مع جد الطلب، وحوى فيه كل نفيس فكان تحفة فائقة تغني عن مسامرة الجليس.

ما في سفره هذا من عيب سوى أنه جمع فيه المحاسن بلا ريب، فلا غرو إنه لكتاب تقر منه العيون، وتزول بتلاوته أدران الأتراح عن قلب المحزون.

ولما رأينا تلك المحاسن قد أشرقت من هذا الكتاب، وأنه لم يأت إلا بالعجب العجاب قلنا مدحة فيه: ما لهذا من نظير، وفي بيان شأنه مقامه خطير، ولذا قال فيه لسان اليراع ما شنف الأسماع:

إن رمت تحظى بالمحاسن دائما ... وتحوز من وصف السرور بما علا
فاعلم بأن الأنس في سفر غدا ... بفكاهة الأحباب من بين الملا
فلتحفة حل السرور على الورى ... ولأهلها نادى البشير مكملا
هذا الكتاب أخو سرور لازم ... والبؤس فارقه لطبع كملا
هذا مؤلفه أجاد بوضعه ... وبصنعه حقا يجازى بالعلا
يا فوز من إتحافه بفكاهة ... نادت به جمع المسرة بالولا
إن كنت للسعد العميم مقاوما ... فاعنى به من بين أسفار الألى
فهو الكتاب الفرد حقا لا مرا ... وهو الذي جمع المحاسن واعتلى

وهو الذي ما مثله في بابه أبدا وهذا النور يأتي بالجلا
فالله يجزي للمؤلف سعده وينيله خيرا وفي وتكملا

* * *

ومن ذلك : ما أنشأه من أمسى الآن رهين رمسه ، وكان قبل نادرة في أبناء جنسه الشيخ محمد علي خوجه [أستاذ] الأدب والنحو بمدرسة السويس ـ رحمه الله ـ وهو هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن أنهل أحبابه العارفين بلذيذ شرابه ، وأهل أهله المصطفين للتمسك بالشرع وآدابه ، وصلاة وسلاما على رسوله الأكرم ، سيدنا محمد خاتم النبيين ، المنزل عليه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ ، وعلى آله وأصحابه الهداة القائلين : من لم يؤدبه الشرع فلا أدبه الله .

وبعد :

فإن مما أنبتته مزرعة الأدب ، وأبرزته نشوة الطرب ، حتى بدا في حسنه الأنيق معنى لطيفا في لفظ رشيق ، هذا السفر الذي ينثر نظم الدر عقد نظامه ، ويقطر ما اللطف من انسجامه ، ويهزأ على العنبر بعبير عبارته ، ولا يعبأ بالمسك لعرف نفحته ، الأنيس في السفر والحضر ، والجليس الذي رؤيته قيد النظر ، المسمى : تحفة أهل الفكاهة في المنادمة والنزاهة .

فدونك سفرا أسفر عن محياه النقاب ، وجر على أقرانه ذيل الإعجاب ، فاتخذه سميرا جالبا للفرح ، وجاليا للحزن والترح ، ولما تبسمت ثغور أزهاره ، ومالت من الطرب غصون رياضه لتغريد أطياره ، رقص اللسان طربا ، فعنون عما أملاه الجنان عجبا ، فقال وأفاد ما وقع عليه المراد :

خل التهجد والسهر ... واترك خواتيم السور
ذاك لقوم ضيعوا ... أوقات عمرهم هدر
في لذة الدنيا وما ... جعلوا للذتها أثر
بل آثروا دار البقا ... ء على الفناء فما أبر
إن كنت منهم فانتهج ... نهج التقشف والخور
واستصحب العكاز والـ ... إبريق وانهل من عبر
واستعمل التسبيح في ... جوف الظلام إذا انتشر
أو لم تكن منهم فدع ... نا من محاسنها الغرر
واخبأ لها زمنا به ... تسعى مساعي من شكر
واسلك به سنن الهدى ... من قبل يأتيك الكبر
واذهب بنا نجني ثما ... رالأنس من روض الزهر
واجلس مع الخلان في ... وقت العشي وفي السحر
وأدر كئوسك لا تسل ... عن لوم زيد أو عمر
لا سيما لو ساقها ... ساق يجاليك النظر
يرنو فيخطف للعقول ... ل كخطفة البرق البصر
ما بين ندمان خلا ... من ذات بينهم الضجر
نزعوا الوقار فليس من ... صغر هناك ولا كبر
يتسامرون بتحفة ... أهل الفكاهة والسمر
لله ذاك السفر ما ... أحلاه عندي ما أسر
فلقد غدا في حسنه ... كالظبي بالوادي نفر
يرمي الأسود بمقلة ... كحلاء حلاها الحور
قد رق طبعا فانثنى ... بالطبع مصقول الطرر

تمت التقاريظ

تحفة أهل الفكاهة
في المنادمة والنزاهة

للأديب اللوزعي والأريب الألمعي

حضرة/محمد أفندي سعد

رقاه الله من مراتب الكمالات ذروة المجد

(آمين)

إذا ما شئت أن تحيا سعيدًا وتظفر باللطافة والنزاهه

فطالع سفرنا السامي المسمى بتحفة من هموا أهل الفكاهه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي مَنَّ على مَن اصطفى من العباد بسلوك الطريق القويم ، وأتحفهم بما منحهم من هديه واتباع السَّنَن المعتدل والسبيل المستقيم ، وفضّلهم بما فضّلهم من المباحث ، وأنالهم البر العميم ، وبوأهم غرفات في الجنة بما حباهم من منفعة التعلم والتعليم ، وأتاح لهم بما أباح لهم من المزاح الذي ليس ضائعا ؛ بل الهدى في ضمنه مستديم ، فكانوا على الله دالِّين سالكين المسلك الجيد الفخيم .

والصلاة والسلام ومزيد التحية والتكريم على الرسول الأمجد ، الهادي إلى السَّنَن المستقيم الأوحد ، القائل ـ وقوله يُقَرِّب من الحكمة كلَّ بعيد ـ ما معناه : « **خير الناس وخير من يمشي على وجه الأرض المعلمون** »[1] .

فهم أولو الحظ الأوفر والفضل المجيد ، فقد دلوا العباد وعلموهم سلوك طريق الرشاد ، وأسلكوهم سبيل السداد .

وعلى آله الهادين وأصحابه الذين شادوا الدين ، وأسسوا قواعده للمهتدين ، وسلم اللهم على الجميع تسليما ، واجعل لنا بالصلاة عليهم أجرا عظيما .

أما بعد :

فيقول فقير رحمة ربه ، وأسير وصمة ذنبه ، المرتجي نجاز ما أتاحه الله من جميل الوعد ، العبد الضعيف المسمى محمد سعد بن محمد سعد الشهير

---

(١) جاء في الفوائد المجموعة ١ : ٢٧٦ حديث : « خير الناس المعلمون كلما خلق الذكر جدوده ، أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فإن المعلم إذا قال للصبي : بسم الله الرحمن الرحيم . فقال الصبي : بسم الله الرحمن الرحيم . كتب الله براءة للصبي وبراءة لوالديه وبراءة لمعلمه من النار » . هو موضوع .

بالمصري ـ بلغه الله الآمال، وحسن له ولمحبيه جميع الأحوال ـ:

إن بعض الإخوان ـ أصلح الله لي ولهم الحال ـ والشان سألني أن أجمع له كتابًا يكون مفرحا للقلوب، وجاليا للأتراح[١] والكروب، فقلت له: إني لست من الرجال الذين هم في بالك، العاضين بالنواجذ على السعي في مهامه[٢] تلك المسالك؛ إذ هم رجال الأدب الواقفون على حقيقته السالكون سبيلَه المستحب، العارفون بغثه من سمينه، العاكفون على تليده وطريفه[٣] وهزله وجده ويقينه، فألَحَّ عليَّ في السؤال، وأبى إلا أن أبلغه الآمال.

فقلت له: إنك قد حملتني في هذا الأمر إمرًا[٤]، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرًا.

ثم إنه أعاد عليّ الطلب، وأبى إلا أن أنجز له الأرب[٥].

فلما رأيت أن لا مخلص لي عن مرامه، ولا محيد عما أبداه من كلامه؛ استخرت الله تعالى في إعمال هذا الكتاب الذي هو للنديم قهوة، وللناسي تذكرة ونشوة، وجمعت فيه من الكتب الأدبية كلَّ نفيس، والسمير لكل أنيس، وأودعته كل لطيفة، وطرزته بكل نادرة ظريفة، وحليته ببعض تحف ولطائف طرف تستحسن للسامعين، ينهل منها ماء المحاسن المعين، تشرح الخواطر، وتُسَرُّ بها الأفئدة، وتَقَرُّ العيون النواظر، حدائق أزهرت وطرائق زهت

(١) ترح ترحا: حزن وقل خيره فهو ترح، والأتراح: الأحزان. الوسيط (ت ر ح).

(٢) مهامه جمع المهمه: المفازة البعيدة والبلد المقفر. الوسيط (مهم).

(٣) الطريف: الطيب النادر، والحديث المستحسن والمستفاد من المال حديثا، ويقابله التليد أو التالد. الوسيط (ط ر ف).

(٤) إمرا: عظيما، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف، الآية: ٧١: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾. يراجع تفسير الطبري ١٧/ ٤٠٦.

(٥) الأرب: الحاجة أو الحاجة الشديدة والبغية والأمنية. يقال: بلغ أربه ونال أربه. الوسيط (أ ر ب).

فبهرت ، ألا وإنة لكتاب مكنون ، مطالعه ـ إن شاء الله تعالى بعد طول البقاء ـ مسكنه عِلِّيُّون ، كتب الأدب عليه عالة ، وهو مرجع المهمات لا محالة ، أنيس الجلاس ، ومطمح الإيناس ، وأمان النفوس من البؤس والعبوس ، أتيت فيه بالأعاجيب ، ورتبته على أحسن الأساليب ، ولما تم ـ بحول الله وقوته القوية ـ وكان على أحسن حال وأفخر كيفية ؛ سميته بـ : **تحفة أهل الفكاهة في المنادمة والنزاهة** . فهو تحفة حقيقية ، ومنحة وهبية أدبية .

وقد رتبته على مقدمة وأربعة وعشرين بابا وخاتمة .

أما **المقدمة** : ففي الأدب والعقل .

وأما الأبواب :

فالباب الأول : في أدب النديم ، وما قيل في حديثه على الشراب القديم .

الباب الثاني : في مدح ساقي كئوس الراح الجالب لعامة الأحباب محاسن الأفراح .

الباب الثالث : في ذكر من اختلف على إخوانه في شرب راح الكئوس منفردا به عن باقي النفوس .

الباب الرابع : في ذكر من نادم الملوك ، فكان عندهم محبوبا ، وفي حوزتهم ولديهم مرغوبا .

الباب الخامس : في صفة مجلس الشراب ، وما فيه من النزاهة وتعديل المزاج للأتراب .

الباب السادس : في ذكر مجلس الأنس والابتهاج ، وما قيل في شمعه الوهاج .

الباب السابع : في المكاتبات والاستدعاء إلى مجلس الشراب بين الأخلاء والأحباب .

الباب الثامن : في ذكر ما وصل إلينا من أسماء الراح الذي تنتعش وتتعطر منه النفوس والأرواح .

الباب التاسع : في ذكر الغناء والألحان ، وبيان حكم السماع من الحل والحرمة بأتم تبيان .

الباب العاشر : في ذكر العود ونحوه من آلات الطرب واللهو ، وما جاء في ذلك من المدح والهجو .

الباب الحادي عشر : في ذكر دعوات الولائم للأفراح التي يتم بها للصب كمال الانشراح .

الباب الثاني عشر : في ذكر الرياض والأزهار والرياحين والجداول والأنهار وما ورد فيها من نظم الأشعار .

الباب الثالث عشر : في المراسلة بين الإخوان والأحباب والخلان .

الباب الرابع عشر : في ذكر ما كتب على الهدايا التي يستعطف بها القلب الشارد ليرد من المحبة أعظم الموارد .

الباب الخامس عشر : في الأبيات المشتملة على الحل والعقد ، والتي تقرأ عرضا وطولا كما يعلم ذلك لأهل النقد ، وبعض مواليا به حرف في أغصانه جميعا ، كما يعلم ذلك لمن يكون مصغيا سميعا .

الباب السادس عشر : في ذكر الحكايات اللطيفة ، والنوادر الغريبة الظريفة ، تفرح بها القلوب ، وتزول عندها الكروب ، لاح لنا إيرادها ؛ لتزول عن الصدور أنكادها ، وتحصل الفكاهة والصفا ، ويبعد عن مطالع كتابنا أدران الجفا .

الباب السابع عشر : في جملة ظريفة ونبذة لطيفة ونكات أدبية وعبارات كالتبر[1]

---

(١) التبر : فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا . الوسيط (ت ب ر) .

دهبية ، تتعلق بالعاشقين من الملوك وأرباب المعرفة في هذا الطريق المسلوك .

الباب الثامن عشر : في ذكر طرف يسير من الغزليات الفائقة والأشعار الرائقة ، ونذكر فيه من محاسن الحبيب ما يطرب سماعه ويصعد لطالع الحسن ارتفاعه .

الباب التاسع عشر : في ذكر حكايات الملافيق ، وما فيها من المباسطة على سبيل النزاهة والخلاعة والتجمل بالمغالطة .

الباب المتمم عشرين : في ذكر من اخترع النرد بثاقب فكره ، فكان ذلك سببا لعلو قدره واستبقاء ذكره .

الباب الحادي والعشرون : في ذكر الأخلاق الحسنة واللطائف المستحسنة .

الباب الثاني والعشرون : في ذكر مدح الأسماء منظوما وتطريز بعض الأسماء إما مع اللقب وإما مجردة ؛ تكميلا لتحصيل الأرب .

الباب الثالث والعشرون : في ذكر مقالات وعظية ، وهي على كل حال أدبية ، وجملة فوائد شتى وحكم جمة .

الباب الرابع والعشرون : في التوبة والاستغفار من الذنوب والرجوع إلى علام الغيوب .

الخاتمة : في الاستغاثات والدعوات وطلب المغفرة لما سلف من الهفوات .

وأذكر عقب كل باب من هذه الأبواب الأربعة والعشرين خاتمة تناسب كل باب ، وسميتها : **خاتمة الباب وتحفة لذوي الآداب** ؛ ليصير بها كل باب حسنا في بابه ، مقبولا عند أربابه .

وهذه المقاصد وإن كانت في الظاهر للترويح ؛ لكنها في الباطن جديرة بالترجيح ، وكل فتى لا يسأل إلا عن معناه فيأخذ مقصده من مبناه ، وقد جاء بعون الله تعالى كتابا يشرح الصدور ، ويزول به ألم المعسور ؛ إذ ما جاء إلا

بالميسور، وما تهون به الأمور، وترويح الأذهان ربما كان حاملا على التقوى، و« **انتظار الفرج عبادة** »[١]، وتنجاب به عن المكروبين أثقال البلوى.

فالله كتاب شارح للبال وقول فصل وجيز متضمن لبشاشة الوجه وإراحة البلبال[٢]، والمرجو ممن نظر فيه أن يسبل عليه ذيل الكرم ويسامح من هفوات القلم؛ لأن الخطأ من طبع البشر، وخير الناس من ستر[٣]: [من البسيط]

والعذر عند خيار الناس مقبول

وها أنا أشرع في المقصود فأقول:

---

(١) حديث أخرجه ابن عدي (٢/ ٧٦، ترجمة ٣٠٢ بقية بن الوليد حمصي)، وقال: باطل بهذا الإسناد. والخطيب (١٥٥/٢). وأخرجه أيضا: البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٠٤، رقم ١٠٠٠٥)، وقال: مرسل. وذكره الذهبي في السير (٥٢٦/٨)، وقال: هذا باطل ما رواه مالك بل، ولا بقية، بل المتهم به سليمان بن سلمة الخبائري.

(٢) البلبال: شدة الهم و الوسواس. والجمع بلابل و بلابيل. المعجم الوسيط (بلبل).

(٣) لم أعثر عليه.

المناسب له ؛ فإن لكل قول موضعًا يخصه بحيث يكون وضع غيره موضعه خروجا عن سلوك طريق الأدب ومحيدا عن السير المستحب ، ويكون سيرا في غير الطريق الإنسانية والفطرة الكاملة الأدبية التي يجب أن تكون على الدوام مرعية .

فالآداب حينئذ تكمل عند أهل الأمصار الذين تبحروا في الظرافة واللطافة ومكارم الأخلاق والانتصار ، فمن تبحر من الأمم المصريين في الأدب واللسان العربي ، وترقيق الكلام ، وإلقاء العبارات ، وتحسين الألفاظ المناسبة للمقام ؛ حاز الغاية القصوى والدرجة العليا عند جميع العالم ، فيكون مرضيا عند جميعهم ، مرموقا بعين المحبة بينهم ، مرفوع الرتبة فوق كثير ممن سواه .

وما من أمة من الأمم إلا ولها قوة على التصرف في المعاني والآداب ، ظريفة المباني في الأمن والاضطراب عند الانفراد والاصطحاب ، شعراء بلسانها بلغاء بلغتها وبيانها ، ولكن قوة العقل غير مستوية في سائر الأقاليم ، بل شدة جولان الذهن في المعاني وحماسته فيها واختراعه لها في الأقاليم الحارة لما فيها من راحة الخاطر حيث لا يكلف فيها بكثير من ذلك شيء .

ومع هذا فإن المحقق أن ذوق الشعر وملكته يكونان أيضا في الأقاليم الباردة بل في شديدة البرودة ولو كانت قريبة من القطب ، لكن فضل الأشعار العربية مشهور فلا يقاس غيرها بها ؛ فإن الدرجة متفاوتة والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(ثم) وعرب البادية والمغاربة والمشارقة يميلون إلى نظم الأشعار واختراع الأحدوثات المضحكة وإن كانت لا أصل لها ؛ أي : لم تكن وقعت ، كما يؤخذ ذلك من قولنا ، واختراع الأحدوثات فإن الاختراع عبارة عن شيء يحدثه الإنسان ؛ أي : يأتي به ويزخرفه فهو مخترع أي مُنْشَأ .

ومن العرب أناس يتكلمون بالشعر ويتحدثون بالحكايات اللطيفة مع كونهم عوامَّ لا يقرءون ولا يكتبون، ولكن التوتر أذهانهم وعقولهم لا يعسر عليهم ذلك بل يكون سهلا عندهم.

(ثم) وعرب الجاهلية كانوا يشربون الخمر والنبيذ وما في معنى ذلك، ولا يحجزهم عن ذلك كتاب ولا سنة، وكانوا يتناشدون الأشعار في الصباح والمساء وأوقات الأسحار؛ وذلك لأجل المباسطة والنزاهة، وإبعاد الهموم والأحزان، وزوال الكروب والأدران، وكان لكل منهم مجلس يجلس فيه لذلك، ويجتمع فيه أصحابه وإخوانه وأحبابه، ويتناشدون الأشعار فيها فيما بينهم، ويتحدثون بما هم فيه من الصفاء والإيناس وإزالة الهموم والجفاء والإلباس، وذكر الأحباب وحكاية الأتراب، كما قيل[1] [من الطويل]:

ولا خير في الدنيا بغير صبابة ولا في نعيم ليس فيه حبيب

فالحبيب حضوره عندك يشرح صدرك، ويصفي فكرك، وينسيك الأحزان، ويسليك ذكر فلان وفلان، فاجتماعهم من أعظم ما يجلب المسرة، ويبعد الوحشة، ويصفي الفكرة.

ولما كان اجتماعهم لا بد منه في حصول السرور واستتباب الراحة وتمام الحبور[2]، وكان لا بد لهم من الأدب اللائق بمقام منادمتهم اللازم لها نوال الأرب ـ قلنا في مبدأ الأبواب الآتية في هذا الكتاب:

---

(١) ديوان الصبابة، ص ٣٥.

(٢) الحبور: السرور. الوسيط (ح ب ر).